مصرع

الإمام الحسين رضي الله عنه

شهيد كربلاء وسيد شباب أهل الجنة

بقلم

محمد لبيب البوقي

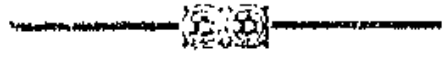

١٩٥١

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

حفيد النبي

كان الحسين أحب أهل بيت النبي إليه صلى الله عليه وسلم وحسبنا أن نعلم أن النبي قد قال . . كل الجزع والبكاء مكروه سوى الجزع والبكاء على الحسين عليه الرضوان وكان على بن الحسين عليهما الرضوان يقول أيما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين حتى تسيل دموعه على خده بوأه الله فى الجنة غرفا ، وأيما مؤمن دمعت عيناه لأذى مس آل النبي من عدو فى الدنيا بوأه الله مبوأ صدق فى الجنة وقال الحسين عن نفسه .. أنا قتيل العبرة لا يذكرنى مؤمن إلا استعبر .

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه خرج فى سفر والحسين عمره سنتان فوقف فى بعض الطريق واسترجع ودمعت عيناه فسئل فى ذلك فقال هذا جبريل يخبرنى عن أرض بشط الفرات يقال لها كربلاء يقتل فيها ولدى الحسين بن فاطمه فقيل ومن يقتله قال رجل

يقال له يزيد وكأني أنظر إلى مصرعه ومدفنه ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم من سفره ذاك مهموما فصعد المنبر وخطب الناس والحسن والحسين بين يديه فلما فرغ من خطبته وضع يمناه الشريفة على رأس الحسن ويسراه على رأس الحسين ثم رفع رأسه الى السماء وقال اللهم ان محمداً عبدك ورسولك ونبيك وهذان أطايب عترتي وخيار ذريتي وأرومتي وقد أخبرني جبريل أن ولدي هذا مقتول مخذول اللهم فبارك في قتله واجعله من سادات الشهداء .

الحسين وهو صبي

فالحسين كان أحب أهل بيت النبي إليه ولقد رويت في ذلك قصص شتى .. قالوا ان النبي ﷺ كان يخطب ذات يوم إذ خرج الحسين فوطيء ثوبه فسقط فبكى فنزل النبي ﷺ عن المنبر فضمه اليه وقال قاتل الله الشيطان ان الولد لفتنة والذي نفسي بيده ما درييته إني نزلت عن منبري وقالوا ان شدة حب النبي ﷺ للحسين ترجع إلى أنه كان حين يراه وهو طفل يسعى بين يديه يرى هذه المذبحة التي ستقام له ولنفر من آل بيته .

قالت أم الفضل بنت الحارث زوج العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ، لقد حملت الحسين وهو طفل الى النبي فتناوله بين يديه الشريفتين وقبله فبال على ثوبه فقرصته قرصة بكى منها فقال النبي

صلى الله عليه وسلم مهلا يا أم الفضل آذيتنى وأبكيت ابنى ، فهذا ثوب يغسل (وفى رواية) لقد أوجع قلبى مافعلت قالت أم الفضل فتركته عند جده ومضيت لآتيه بماء فجئت اليه فرجدت النبى ﷺ يبكى فقلت مما بكاؤك يا رسول الله قال ان جبريل آتانى فاخبرنى ان أمتى تقتل ولدى هذا .

من أدب النبى

فلا غرو إذا شب الحسين متأدبا بأدب جده ﷺ ناسجا على منواله متخذا من النبى خير قدوة ، فاننا نقرأ انه رضى الله عنه حج خمسة وعشرين حجة ماشيا على قدميه ، لا يريد أن يذهب الى بيت الله راكبا ، وكان الناس المسافرون فى طريق الحج يمرون به وهو يمشى فينزلون عن دوابهم احتراما له واقتداء به ولكنهم كانوا يجدون فى ذلك مشقة لطول الطريق حتى قال بعضهم لسعد بن أبى وقاص لقد ثقل علينا المشى ولا نستحسن أن نركب والحسين يمشى ، فذهب سعد الى الحسين يرغب اليه الركوب فقال الحسين قد جعلت على نفسى المشى الى بيت الله الحرام ولكنى سأتجنب طريق الناس حتى لا يرانى أحد منهم فيمشى ويجد فى ذلك عناء لا يحتمله كثير منهم .

وتحدثوا عن كرم الحسين وذكروا عن ذلك الكثير .

قالوا ان الحسين دخل على أسامة بن زيد وهو مريض وأسامة يقول واغماه .. قال الحسين وما غمك يا أخي قال أسامة .. انني أحتضر وان الموت يطلبني ويهمني انني مدين لا أستطيع وفاء ديني قال الحسين هو علي سأقضي عنك دينك ثم قام من ساعته فقضى دين صاحبه وقدره ستون الف درهم ، وهو دين كما ترون كبير ..

أكرم الناس

وجاء اعرابي اليه ذات مساء فقال يا ابن رسول الله انني ضمنت دية كاملة وعجزت عن أدائها فقلت في نفسي اسأل أكرم الناس وما رأيت أكرم من أهل بيت رسول الله ﷺ فقال الحسين .. يا أخا العرب اسألك عن ثلاث مسائل فان أجبت عن واحدة أعطيتك ثلث المال وان أجبت عن اثنتين أعطيتك ثلثي المال وان أجبت عن الكل أعطيتك الكل قال الاعرابي .. يا ابن رسول الله أمثلك يسأل مثلي .. ؟ وانت من أهل العلم والشرف ، قال الحسين بلى ، سمعت جدي رسول الله ﷺ يقول ، انزلوا الناس بقدر المعرفة فقال الاعرابي سل ما بدا لك .. فان أجبت نلت المال والا نلت منك والعلم خير من المال على كل حال ولا قوة الا بالله .. قال الحسين أي الأعمال أفضل .. ؟ أجاب الاعرابي الايمان بالله .. قال الحسين فما يزين الرجل فأجاب الاعرابي علم معه حلم ، قال الحسين

فان لم يكن فأجاب الأعرابي مال معه مروءة ، قال الحسين فان لم يكن فأجاب الأعرابي فقر معه صبر ، قال الحسين فان اخطأه ذلك كله فأجاب الأعرابي فصاعقة تنزل من السماء وتحرقه فانه أهل لذلك فضحك الحسين رضى الله عنه ، وأعطاه حاجته .

وكان الحسين على تقواه وكرمه كثير الخوف من الله سبحانه وقد سئل فى ذلك فقال لا يأمن يوم القيامة إلا من خاف الله فى الدنيا وقد كان مع خوفه ذاك يصلى فى اليوم والليلة الف ركعة .

* * *

أكثر الناس بلاء

كان الحسين رضى الله عنه يقول شعرا

اذا ما عضك الدهر ... فلا تجنح إلى خلق

ولا تسأل سوى الله ... تعالى قاسم الرزق

فلو عشت فطوفت ... من الغرب الى الشرق

لما صادفت من يقدر ... أن يسعد أو يشقى

قال النبى ﷺ أكثر الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل فنحن نرى من تاريخ الأنبياء أن منهم من قتل ومنهم من طورد أوذى أذى بليغا ، ذلك لأن هذه الدنيا هينة عند الله سبحانه ومن

obeikandl.com

هوانها عنده انه لم يجعل لأوليائه فيها حظا كبيرا أو صغيرا ، ولو كانت الدنيا تعدل عند الله شيئا لجعل لأحبابه فيها النصيب الأوفر والحظ العظيم ، ولكن الناس يتكالبون عليها ويتزاحمون على متعها ويريد الله تعالى أن يرى الناس بأنفسهم هوانها إذ يرون أنه لا يعطى الدنيا الى المقربين منه بل يجعلهم مثلا للناس فى شدة البلاء فهم مرآة الأقدار ثم لا يأتيهم الأذى الا من يريدون لهم الخير والهدى ذلك لأن الناس قد ألفوا أشياء من المتع واللذات تذهب بحق البشرية مجتمعة وان هيأت شيئا من اللذة للافراد .

ويريد الله سبحانه أن يعلم الدعاة الى الخير أن لا ينصرفوا عن دعوتهم تلك لما يلقونه فى سبيلها من العنت وأن يعلمهم الصبر على المكاره فجعل من الأنبياء والاولياء والصديقين مثلا للناس فى الصبر على الشدائد واحتمال المكاره والآن فلننتقل الى ما كان من أمر الامام الحسين .

أول البلاء

لما مات معاوية وقام من بعده ولده يزيد كتب يزيد هذا الى عمه عتبة بن أبى سفيان وكان عتبة هذا واليا على المدينة يأمره أن يطلب الى الناس فى المدينة أن يبايعوا يزيد وأن يرتضوه خليفة للمسلمين ، وشدد يزيد فى كتابه ذاك الى عمه عتبة وأوصاه أن يوجه

أكبر جهده إلى الحسين بن على فان الحسين قطب من أقطاب بنى هاشم فهو إذ يبايع يزيد سيقتدى به الناس جميعا فى المدينة وغيرها ، وكان يزيد على علم بان الحسين سيمتنع عليه وان هذا الامتناع سيغرى الناس بالانصراف عن يزيد . . فقال لعمه عتبة اذا امتنع عليك الحسين فاضرب عنقه وابعث الينا برأسه .

ولكن عتبة بن أبى سفيان أشفق على نفسه من هذا الأمر الشديد فطلب الى مستشاره الوليد بن مروان بن الحكم أن يعينه بالرأى فقال الوليد . . كن على يقين يا عتبة ان أمر الحسين خطير وانه سيمتنع عن البيعة ليزيد مافى ذلك شك واعلم أن يزيداً لن يغفر لك فشلك فى انجاح رغبته فاحزم أمرك وابعث الى الحسين فاذا جاءك فاحبسه عندك ولاتجعله يخرج حتى يبايعك أوتضرب عنقه

وكان عتبة يخشى يزيد ويخشى أن يتهم عنده بالتهاون فى الأمر فأراد أن يتخذ شهودا يستمعون إلى مايكون بينه وبين الحسين من حديث فاستدعى ثلاثين رجلا من أنصاره وأقامهم فى مجلسه . . فلما جاء الحسين لم يجرؤ عتبة أن يتحدث اليه فى الأمر وانما ذهب يقرأ عليه كتاب يزيد فلم يتكلم الحسين وانما هب من مجلسه يريد أن يذهب فادرك عتبة كل شىء وهمس مستشاره الوليد بن مروان قائلا لاتجعل الحسين يفلت من يدك عليك الآن بضرب عنقه وارسال رأسه الى يزيد . . فلم يجب عتبة وانما ظل شارد اللب لا يدرى ماذا

فعل وظل مستشاره الوليد هادئا ساكنا لا يقوى على الكلام بحضر الحسين فلما ذهب قام يصرخ فى وجه عتبة متهما اياه بافلات الفرصة فأجاب عتبة غاضبا .. لقد أشرت على يا وليد بذهاب دينى ودنياى ووالله ماأحب ان أملك الدنيا بأسرها وأنى قتلت حسينا ، ثم استبد الغضب بعتبة وهو يذكر فضـــل الحسين وانه ابن النبى وأحب آل بيته اليه فقام من مجلسه ذاك صائحا .. سبحان الله والله ما أظن أحداً يلقى الله بدم الحسين إلاوهوخفيف الميزان لاينظر الله اليه يوم القيامة ولا يزكيه وله عذاب اليم .

النبي فى الرؤيا

وذهب الحسين والليل ضارب أستاره على المدينة الى قبر جده ﷺ فقال السلام عليك يارسول الله ، أنا الحسين بن فاطمه سبطك الذى خلفتنى فى أمتك فاشهد عليهم يانبى الله انهم خذلونى وضيعونى ولم يحفظونى ، وهذه شكواى الى الله ثم اليك حتى ألقاك ، وجعل الحسين يكرر الدعاء ومناجاة ربه وحده ثم قام الى الصلاة حتى مطلع الفجر .

فلما كانت الليله الثانية رآه الليل مرة أخرى عند قبر جده وهو يصلى ثم رآه الليل أيضا وهو يقول . اللهم هـذا قبر نبيك محمد ، وأنا ابن بنت نبيك وقد حضرنى من الأمر ماعلمت ، اللهم إنى أحب

المعروف والبر ، وانا اسألك ياذا الجلال والاكرام ألا أخذت لى ماهو لك رضا ، ولرسولك رضا وارتسمت فى ذهن الحسين هذه الفتنة التى يوشك أن يهب أعصارها على المسلمين فبكى اشفاقا على كلمة الله فى الأرض وجعل يهن فى البكاء حتى اذا تعب وكان قريبا من الصبيح وضع رأسه على القبر فأغفى فاذا هو برسول الله ﷺ قد أقبل فى كتيبة من الملائكة يحوطونه عن يمين وشمال ثم تقدم من حسين فضمه الى صدره وقبله بين عينيه وقال يا حسين ، إنى أراك عن قريب مرملا بدمائك مذبوحا بأرض كرب وبلاء من عصابة من أمتى وانت مع ذلك عطشان لا تسقى ظمآن لا تروى وهؤلاء مع ذلك يرجون شفاعتى، لا أنالهم الله شفاعتى يوم القيامة ، ياحسين ان أباك وأمك وأخاك قدموا على وهم مشتاقون اليك ، وان لك فى الجنان لدرجات لا تنال إلا بالشهادة .

وكان الحسين فى رؤيته تلك ينظر الى جده ويقول . . يا جداه لاحاجة لى فى الرجوع الى الدنيا فخذنى اليك وأدخلنى معك فى قبرك ، فقال له رسول الله ﷺ ، لابد لك من الرجوع الى الدنيا حتى ترزق الشهادة وما قد كتب الله لك فيها من الثواب العظيم فانك وأباك وأخاك وعمك تحشرون يوم القيامة فى زمرة واحدة حتى تدخلوا الجنة .

ولما انتبه الحسين من منامه كانت الرؤيا واضحة بنيء وضوحها

عن صدقها ولم يكن به جزع على حياته وشخصه وانما هو الجزع على ماقد يصيب المسلمين ، ولما قص رؤياه تلك على آل بيته جعلوا جميعا يبكون وقد أدركوا ان أيام الحسين على الأرض أمست معدودات .

الخروج من المدينة

وقال محمد بن الحنفية لما علم بعزمه على الخروج من المدينة ، ان الله قد شرفك يا حسين وجعلك من سادات أهل الجنة ، تنح ببيعتك عن يزيد وعن الأمصار ما استطعت ثم ابعث رسلك الى الناس فادعهم الى نفسك ليبايعوك فان أمر الناس لايصلح الا بك ، فان بايع الناس لك حمدت الله على ذلك ، وان اجتمع الناس على غيرك لم ينقص الله بذلك دينك وعقلك .

وأتته أم سلمة فقالت ، يا بنى لا تذهب إلى العراق فانى سمعت جدك ﷺ يقول يقتل ولدى الحسين بأرض العراق بأرض يقال لها كربلاء فقال ياأماه وأنا والله اعلم ذلك ، وأعلم انى مقتول لامحالة وليس لى من هذا بد ، وان والله لأعرف اليوم الذى أقتل فيه وأعرف من يقتلنى وأعرف البقعة التى أدفن فيها ، وأعرف من يقتل من أهل بيتى وقرابتى ، وان أردت يا أماه أريك حفرتى ومضجعى . فعند ذلك بكت أم سلمة بكاء شديداً وسلمت الأمر الى

الله فقال الحسين وهو يهدهد حزنها يا أماه قد شاء الله أن يراني مذبوحا ظلما وعدوانا ، وقد شاء أن يرى حرمي ورهطي ونسائي مشردين وأطفالي مذبوحين مأسورين مظلومين مقيدين وهم يستغيثون فلا يجدون ناصرا ولا معينا .

وداع

وذهب الحسين إلى قبر أمه فزار القبر وطلب إلى أهله وأولاده أن يخرجوا معه في جوف الليل وجعل وهو يتهيأ للخروج يقرأ قوله سبحانه (فخرج منها خائفا يترقب . قال رب نجني من القوم الظالمين) .

وفي الطريق لقيه عبد الله بن مطيع فقال إلى أين يا حسين ؟ قال رضي الله عنه أما الآن فالى مكة وأما بعد فاني استخير الله .

في مكة المكرمة

ولاحت مكة من بعيد حمى للامن يفتح ذراعيه للطريد . . فهفا إلى البلد الطيب قلبه وجعل الحسين يردد قول الحق سبحانه (ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل) .

واستقبله أهل مكة بالفرح والتكبير وحمد الله الذي بعث اليهم

الحسين ابن النبي ﷺ وخير من تحمل الأرض في هاتيك الأيام .

وطابت مكة للحسين وآل بيته مستقرا ومقاما ، ولكن أمرا واحدا مازال يتردد بقوة في خاطر الحسين .. هو أمر الناس وأمر الدين ان كلمة الله أمانة في عنقه وهي أمانة عجزت عن حملها السموات والأرض والجبال وحملها الانسان . . وهاهم أهل الكوفة يرسلون اليه كل يوم عشرات من الكتب يطلبونه اليهم ليرفعوا بيده راية الاسلام ذلك إنه قد حدث في الكوفة بعد موت معاوية وولاية يزيد ان علم القوم بامتناع الحسين عن بيعة يزيد بن معاوية فاجتمع خلق كثير في دار سليمان الخزاعي من كبار أهل الكوفة وقام فيهم خطيب منهم فقال

انكم قد علمتم بان معاوية قد هلك وصار الى ربه وقدم على عمله وقد قعد في موضعه ابنه يزيد ، وهذا الحسين بن علي قد خالفه وهاجر الى مكة وأنتم شيعته وشيعة أبيه من قبله وقد احتاج إلى نصرتكم اليوم فان كنتم تعلمون انكم ناصروه ومجاهدو عدوه فاكتبوا اليه ، وان خفتم الوهن والفشل فلا تغروا الرجل من نفسه . . .

فهتفوا جميعا معقبين على قول الخطيب . . بل نحن مع حسين نقاتل عدوه ونقتل أنفسنا دونه ، ثم قرروا أن يرسلوا منهم وفدا إلى مكة يحمل إلى الحسين دعوتهم للسفر اليهم .

وقد سافر الوفد الأول .. وظل أهل الكوفة على أحر من الجمر قد استبد بهم الحماس فلم يطيقوا انتظارا بل أرسلوا وفداً ثانيا .. وتلك طبيعة ذوى الأهواء الحادة والعواطف الجامحة فانهم دائما يتطرفون ويسرفون فى الحماس وقد ينتهى هذا التطرف إلى خمود وذلك الاسراف إلى جمود بخلاف أصحاب العقول الرتيبة اولئك الذين يقلبون كل أمر على جميع وجوهه ثم يتخذون فيه رأيا حازما ثم يلتمسون فى حكمة وبعد نظر الأسباب الملائمة ...

فقد ظل الحسين رضى الله عنه فى مكة يتلقى كل يوم كتبا بعد كتب وبرى وفودا من أهل الكوفة بعد وفود حتى اجتمع عنده فى يوم واحد ستمائة كتاب وهو رضى الله عنه يتانى ولا يجيبهم حتى بلغ عدد الكتب التى تلقاها اثنا عشر الفا وهو مايزال مع هذا مستأنيا يتفكر حتى جاءه بعض كبار القوم منهم وهم يحملون الكتاب التالى

بسم الله الرحمن الرحيم

من المؤمنين المسلمين بالكوفة إلى الحسين بن على رضى الله عنه .. أما بعد فهيلا فان الناس ينتظرونك لا رأى لهم غيرك ، فالعجل العجل ثم العجل العجل والسلام

وتلا الحسين الكتاب وأحس مافيه من أسباب العجلة ووجد نفسه مع ذلك وهو الخبير الحكيم بالتقوى وأحوالها مستأنيا يتفكر ...

وازداد قلق أهل الكوفة وبلغ حماسهم القمة فارسلوا اليه على عجل يقولون .. لقد اخضر الجناب واينعت الثمار فاذا شئت فاقبل على جند لك مجند فان لك فى الكوفة مائة الف سيف فلا تتأخر

ولم يكف أهل الكوفة أن يرسلوا اليه هذا الكتاب القوى وانما كلفوا اثنين من خيرة رجالها بحمله إلى الحسين .. فلم يعد له رضى الله عنه أن يتخذ قرارا وهو يعلم أن مهلكه ينتظره فى الكوفة وان السيوف الظالمة ظمأى لدمه ودم أهل بيته من النساء والغلمان وان قبورهم فى تلك البقاع تناديهم .

الحسين يرسل مندوبا

وقام الحسين يصلى ويمعن فى الصلاة مبتهلا الى الله أن يختار له ثم طلب الى ابن عمه مسلم بن عقيل أخلص الناس اليه وأحبهم إلى قلبه أن يستعد للسفر وأوصاه أن يذهب إلى أهل الكوفة وأن يحمل كتابه اليهم وان يبعث اليه من هناك بمايرى وأرسل مع مسلم كتابا يقول فيه

بسم الله الرحمن الرحيم

من الحسين بن على الى الملأ من المؤمنين والمسلمين ، أما بعد . . فان هانيا وسعيدا قدما على بكتابكم وكانا آخر من قدم على من

رسلكم وقد فهمت كل الذى ذكرتم ومقالته جلكم انه ليس علينا إمام فاقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق والهدى ، وأنا باعث اليكم أخى وابن عمى وثقتى من أهل بيتى مسلما بن عقيل فان كتب إلى أنه قد اجتمع رأى ملئكم وذوى الحجى والفضل منكم على مثل ماقدمت به رسلكم وقرأت فى كتبكم فانى أقدم اليكم وشيكا ان شاء الله تعالى فلعمرى ما الامام إلا الحاكم بالكتاب القائم بالقسط الدائن بدين الحق الحابس نفسه على ذلك والسلام

وكان لابد للحكيم الرشيد الحسين رضى الله عنه أن يرسل من قبله مثل هذا الرسول الثقة ليكون عينه التى يرى بها وأذنه التى يسمع بها وليكتب اليه بما يرى ويسمع هل القوم جادون فى قولهم مستعدون حقا للجهاد مقدرون لعواقب الأمور فان كان ذلك أسرع اليهم .

ووصل مسلم الكوفة ونزل فى دار المختار بن أبى عبيد الثقفى واجتمع إلى الناس وجعل يقرأ لهم كتاب الحسين وهم يبكون تاثرا عند سماعه وبايعه منهم ثمانية عشر الفا وقيل بل بايعه أربعون الفا من أهل الكوفة على أن يحاربوا من حارب ويسالموا من سالم فكتب مسلم بذلك الى الحسين . . وأصبح حضور الحسين إلى الكوفة منتظراً .

* * *

غضبة يزيد

واذ علم يزيد بذلك جن جنونه واضطرم مرجل غضبه وإذ أرسل اليه أعوانه من أهل الكوفة يشكون ضعف واليه النعمان بن بشير ويقولون إنه رجل لا يقوى على مواجهة الحسين ومناهضة مايوشك أن يلم بالكوفة من أحداث ، حينئذ أرسل يزيد بعزل النعمان بن بشير وعين عبيد الله بن زياد واليا للكوفة والبصرة وأغراه بمكافأة وأجر عظيم وكتب اليه يقول . . . أما بعد فقد كتب الى شيعتى من أهل الكوفة يخبرونى أن مسلم بن عقيل يجمع الجموع ليشق عصا المسلمين فسر حين تقرأ كتابى هـــذا حتى تأتى الكوفة فتطلب ابن عقيل طلب الخرزة حتى تثقفه فتوثقه أو تقتله أو تنفيه والسلام .

وصدع ابن زياد للامر وسار من فوره الى الكوفة وهنـالك أخذ أهلها أخذا شديدا وطلب اليهم أن يحيطوه علما بمن يوجد فى الكوفة من الأغراب الذين ليسوا من أهلها وعمن يقيم فى ضيافتهم وقال فى الناس ومن لم يفعل فحلال علينا دمه وماله ، وايما انسان استضاف أحدا من أعداء أمير المؤمنين صلب على باب داره

وعلم مسلم بن عقيل وهو فى دار المختار أنه أصبح مطلوبا من ابن زياد وان مصير من يستضيفه الهلاك فخرج من دار المختار فى

جوف الليل ملتحفا بالظلام اذ طلب اليه هانى بن عروة أن يأتى داره وأن يكون فى أمانه . . . وأصبح القوم يأتونه سرا فى دار هانى بن عروة متواصين بالكتمان وألح ابن زياد فى طلب مسلم وهو لا يعلم أين مخبأه

ولجأ ابن زياد الى حيلة قديمة خبيثة فطلب الى رجل من أعوانه أن يندس بين أنصار الحسين وان يدعى انه منهم وأعطاه اربعة الاف درهم أوصاه ان يتبرع بها ذرا للرماد فى عيون القوم فلا يعرفوا انه جاسوس . . وذهب معقل وذلك هو اسم الرجل ولم ينس أولا ان يختزل المبلغ فيحتفظ لنفسه بالف درهم ثم يجلس فى المجلس متباكيا على الدنيا وما أصابها من شر والاتقياء من بنى هاشم وما أصابهم من سوء مبتهلا الى الله فى حرارة أن ينصر الحسين حتى وقعت عليه بعض انظار انصار الحسين فاستمعوا اليه وهدهدوا حزنه وطمأنوه على ان الدنيا ما تزال بخير فالتمس اليهم ان يذهبوا به الى مسلم بن عقيل فانه يملك من دنياه ثلاثة الاف درهم يريد ان يتبرع بها للدعوة للحسين .

وفرح ابن عوسجة بهذا العضو الجديد وذهب يأخذ عليه العهود والمواثيق والرجل يفعل ويقسم على ذلك اقساما غلاظا ويشهد الله على مافى قلبه من حب الحسين حتى اطمأن اليه عوسجة وأخذه الى

مسلم بن عقيل فهوى على يدى مسلم مقبلا سائلا عن الحسين داعيا له بالنصر ثم غافل القوم وذهب بسرهم الى ابن زياد

امتحان الرجال

علم ابن زياد ان مسلما مختبىء فى دارهانى فارسل الى هانى وأمر بضربه وحبسه اذ رفض تسليم مسلم بن عقيل وراح يذكرهم بحق الضيف فى الاسلام ولم يزد قوله ذاك ابن زياد إلا الحاحا عليه فى الأذى وهانى يحتمل هذا العذاب صابرا هادىء النفس فى سبيل الكرامة والرجولة

وعلم مسلم بن عقيل أن هانى يضرب ويهان فخرج من مكمنه وامتطى جواده ورفع سيفه وذهب يبغى دار الحاكم فانضم اليه اربعة الاف رجل كانوا ينتظرون اشارته .

وتناقل الناس الخبر فاسرع الذين كتبوا الى الحسين ينضمون الى مسلم بن عقيل فانضم اليه الذين كانوا فى المساجد والذين كانوا فى الأسواق ثم ذهب بهذا الجيش فاحاط دار ابن زياد وأقام حول الدار مرابطا وكان كل من علم من أهل الكوفة بالأمر يدع عمله ويحمل سيفه ويسرع إلى الجمع . . . وابن زياد فى داره يرتعد فرقا ورعبا فان عساكره لا تكاد تقف أمام هذا الجيش الكبير ولكن ابن زياد كان خبيرا بأهل الكوفة عارفا بسرعة استجابتهم للاهواء

وسرعة انطفاء حماسهم وذهاب نارهم فطلب إلى بعض كبار قومه أن ينفذوا من داره سرا من باب أعد من قبل لمثل هذا الحال وأن يذهبوا ليخيفوا الناس وليقولوا لهم ان هناك جيش كبير فى طريقه من الشام لنجدة ابن زياد وليهولوا من الأخطار التى تنتظرهم . . . فذهب هؤلاء وقام كثير بن شهاب خطيبا فى النساء والشيوخ وقال أيها الناس .. الحقوا بأهاليكم ولاتعجلوا الشر ولا تعرضوا انفسكم للقتل فان جنود أمير المؤمنين يزيد بن معاوية ستقبل عليكم وقد أعطى الله الأمير عهداً لئن أقمتم على عهده ولم تنصرفوا من عشيتكم أن يحرم ذريتكم العطاء ويفرق مقاتليكم فى مغازى الشام وأن يأخذ البرىء منكم بالسقيم والشاهد بالغائب حتى لايبقى له بقية من أهل المعصية الا أذاقها وبال ماجنت أيديها وكان ، وذهب أتباع يزيد يرددون هذا الكلام ويؤثرون بقولهم هذا النساء من الزوجات والأمهات والبنات يقولون لهن إلحقن برجالكن فردوهن إلى الدور قبل ان تتخطفهم جيوش يزيد التى ستحيط بالكوفة وشيكا . .

فاضطرب الأمر وأسرعت المرأة تجرى باكية منتحبة تبحث عن أخيها او بعلها او أبيها تصيح به وتشده طالبة اليه أن ينصرف عن الحسين وبدأ الجيش يتفكك من صنع النساء وخوفهن فاذا قال رجل لامرأته انما ادفع عن الحق قالت بدموعها وما انت والحق

دع هذا لغيرك فيكون بينه وبينها نقاش طويل تغلبه فيه بعاطفتها حتى إذا ماانسحب من الجمع تبعه آخر فان الضعف يعدى كعدوى المرض ... فلما جاء المساء انتهز هؤلاء فرصة الظـــلام وراحوا يتسللون فى الخفاء فرادى وجماعات منكسى الرؤوس ضعفا وخزيا ومسلم بن عقيـــل ينظر حوله فاذا الصفوف تخف ثم تتداعى ثم تتلاشى ...

فصلى المغرب وما معه من هذه الألوف التى أرسلت الى الحسين اربعـــين الف كتاب ولا من هؤلاء الذين أسرعوا اليه يحملون السيوف لم يعد حوله من هؤلاء غير ثلاثين فارســـا هم الصفوة الصافية من هذا التهويل العظيم وهؤلاء الثلاثون هم الثابتون من المؤمنين الذين لايخلو منهم عهد او زمن .

ونظر مسلم بن عقيل إلى هـذه العصبة الصغيرة وهو يعلم أن مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل التاجر فى تجارته لايقدم على عمل إلا وقد اتخذ له عدته وأصبح النصر منه غير محتمل ولا قوة له بهؤلاء الثلاثين فأراد ان يعدهم لمستقبل لايعلمه الا الله فصرفهم عنه مشكورين .. وهو يتفكر محسورا فى أمر الحسين نادما على ما كان منه من اسراعه فى الكتابة اليه ليحضر الى الكوفة مأخوذا بما رأى من هذه الجموع التى أحسنت الكلام ولم تحسن العمل ..

وذهب ابن عقيل يتفكر فى هذا المأزق الذى سيقع فيه الحسين حين يأتى مدفوعا بكتاب ابن هانى فلايجد حوله من الناس أحدا.

ترى هل آن للحسين أن يلقى مصرعه كما قال رسول الله ؟.

ترى هل دنت ساعة القدر المقدور للحسين وآل بيته .؟

ترى أكان عبد الله بن مطيع محقا حين قال للحسين عشاة خروجه الى مكة إياك والكوفة فهى بلد شؤم بها قتل أبوك وخذل أخوك واغتيل بطعنة ..؟

لقد ذهب مسلم يتفكر مهموما فى كل هذا ولم يعد حوله من أهل الكوفة انسان .

انها الأقدار التى تأخذ مجراها لا يردها حرص الحريصين ولا تدبير المدبرين .

نضال رهيب

كان ابن زياد يقيم فى داره محصوراً بمسلم بن عقيل وجموعه والرعب يطويه ثم ينشره ولم يكن ابن زياد على علم بانصراف الناس عن مسلم وتركهم إياه وحده .

ولكن الأصوات تهدأ فيزداد بذلك خوفه إذ يظن القوم يدبرون أمرا جديدا ويبرمون حدثا خطيرا فلما تكاثف الظلام

طلب الى بعض قومه أن ينظروا فذهبوا يفعلون ثم عادوا يعلنون اليه انهم لا يرون شيئا فازداد اضطرابا وأمر القوم فرفعوا المشاعل في أيديهم وجعلوا يكتسحون الفضاء بأنظارهم فيجدون الارض من حول الدار قاعا صفصفا فلا يصدقون عيونهم ويظنونهم قد لجأوا إلى المسجد الكبير المجاور للدار فجعلوا يدلون بالقناديل فيها أطنان من حطب مشتعل فتذهب السنة النـــار تتراقص خزنا وعارا مما كان من أمر الجموع وإذ ذاك عادوا فاخبروا ابن زياد أن القوم فروا وتخلوا عن ابن عقيـــل من أثر الدعاية الكبيرة التي أعلنوها بين الناس فضحك ابن زياد بعد أن ردت اليه روحه وقال إني أعلم ان القوم يحبون حسين ولكن غلبهم جبنهم على حبهم له .. ومادمنا قد اكتشفنا هذا الجبن فعلينا أن نزيدهم تخويفا فان الجبان يموت رعبا من الوهم ويعمل فيه الخيال أكثر مما تعمل الحقائق .

فرفع كأسه وجرع جرعات من خمر فرحا بما كان له من نصر ثم أسرع الى المسجد في صلاة الفجر فصلى رياء ونفاقا وجمع له الناس من كل حدب ثم راح يخطبهم فقال

ان ابن عقيل السفيه الجاهل قد أتى ما قد رأيتم من الخلاف وهرب وحيدا واختبأ في مكان لا نعرفه فبرئت ذمة الله من رجل وجدناه في داره ومن جاء به فله عندنا أجر كبير .. اتقوا الله عباد الله والزموا طاعتكم وبيعتكم ولا تجعلوا على أنفسكم سبيلا .

ثم نادى ابن زياد رئيس شرطته حصين بن نمير فقال . . . ثكلتك أمك ياحصين ان لم تأتنى بمسلم بن عقيل ، لقد سلطتك على دور أهل الكوفة فابعث المراصد عليهم وعلى دورهم وجس خلال الدور حتى تأتينى بهذا الرجل مسلم بن عقيل

شجاعة امرأة

وهب من بين الجمع الذى كان يستمع الى كلام ابن زياد فتى فقال . . أيها الأمير لقد وعدت من يأتيك بمسلم بن عقيل بأجر عظيم فاجعل لى ذلك الأجر فانى قد رأيت أمى بالأمس وهى عجوز لاتقوى على المسير تتحامل على نفسها ساعات لتذهب الى بيت لنا فى أطراف الجبل فرابنى ذلك منها فتبعتها حتى رأيتها تخفى فى دارنا تلك مسلم بن عقيل .

وترنح ابن زياد فرحا ولكنه لم يخف نظرة ازدراء الى هذا الفتى الحقير الذى يرمى أمه فى الهلاك من أجل أجر موعود ويلقى إلى الهلاك برجل من رجال الله . .

لقد احتقر ابن زياد هذا الفتى فى باطن نفسه شأنه فى ذلك شأن المستعمرين الذين يتخذون فى البلاد أعوانا لهم يعطونهم ثمن خيانتهم ولكنهم بينهم وبين أنفسهم يحتقرونهم وفى آخر الأمر

يذيقونهم الهوان لأن الخؤون لا عهد له . ومع أن ابن زياد قد احتقر هذا الفتى الا أنه أخفى حقيقة شعوره وذهب يكيل له المدح الزائف ثم أمر أن يذهب هذا الفتى الى دار أمه مع نفر من أشداء الجنود ليأتوا بابن عقيل او يقتلوه ..

وأراد ابن زياد أن يمتحن نذالة القوم وتطوعهم لخدمة الباطل فقال من منكم يتطوع ليذهب مع هذا الفتى وله أيضا أجر كبيرا فهب من المجلس عشرات فاختار منهم سبعين رجلا ليس من الغريب أن يكون منهم من أرسل الى الحسين كتابا يطلب اليه الحضور لاعلاء كلمة الله ثم أمرهم أن يسرعوا والتفت ابن زياد وهو بينه وبين نفسه فبصق على هؤلاء الأوغاد

وهنالك عند الدار الخربة فى أطراف الصحراء ذهبوا يطرقون الباب وأسرعت العجوز الهلوك فوقفت دونهم ودون الدار سداً منيعا وقالت

ويحكم انه مندوب الحسين ابن النبي . . . ويحكم تذكروا أى منكر تفعلون والله لن تدخلوا الدار الا فوق جثتى ونظرت الى ابنها وهو يدل القوم على منافذ الدار فاسرعت الى حجر ودقت به رأسه وهى تلعنه وتلعن يوم ولدته ثم بذلت ضعفها وأسلمت روحها إلى الله .

الحسين فى الطريق

وكان الحسين رضى الله عنه قد تسلم كتاب مسلم بن عقيل الذى يخبره فيه بحب أهل الكوفة له وانهم له جند مجند وانهم فى انتظاره فاعتزم الحسين سفرا اليهم وذهب فطاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة ولم يتمكن من اتمام الحج . ولم يتسلم الكتاب الثانى من ابن عقيل

وجاءه أبو بكر عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنهاه عن هذا السفر فقال له الحسين رضى الله عنه ، جزاك الله خيرا يا ابن عم قد اجتهدت رأيك ومهما يقض الله يكن ، وجاءه عبد الله ابن عباس فنهاه عن الخروج أيضا وقال له ان ابيت الا الخروج فاخرج الى اليمن فقال الحسين يا ابن عم انى والله لأعلم انك ناصح مشفق وقد ازمعت واجمعت المسير. ان رسول الله ﷺ قد أمرنى بأمر وانا ماض فيه .

فخرج ابن عباس يبكى وقد علم ان الحسين لامحالة مقتول وجعل يضرب يدا بيد ألما وحزنا وهو يردد من قلب كليم . . . واحسيناه ثم جاءه عبد الله بن عمر فاشار عليه بصلح أهل الضلال وحذره من القتل والقتال فقال له يا أبا عبد الرحمن أما علمت أن من هوان الدنيا على الله ان رأس يحيى بن زكريا أهدى الى بغى من بغـــايا بنى اسرائيل ، أما تعلم ان بنى اسرائيل كانوا يقتلون ما بين طلوع

الفجر الى طلوع الشمس سبعين نبيا ثم يجلسون فى الأسواق للبيع كان لم يحدثوا شيئا .

القدر فى انتظار الحسين

ولم يكن الحسين قد علم بمقتل مسلم بن عقيل وما كان من الأمر بعد ذلك بل كان رضى الله عنه يظن ان القوم على نصرته مقيمين فكتب الى أهل الكوفة كتابا أرسله مع قيس الصيداوى جاء فيه

بسم الله الرحمن الرحيم

من الحسين بن على الى اخوانه المؤمنين والمسلمين . . سلام عليكم . . فانى أحمد اليكم الله الذى لا اله إلا هو (أما بعد) فان كتاب مسلم بن عقيل قد جاءنى يخبرنى بحسن رأيكم واجتماع ملأكم على نصرنا والطلب بحقنا فسألت الله أن يحسن لنا الصنيع وأن يثيبكم على ذلك أعظم الأجر .

ووقع حامل الكتاب وهو فى الطريق الى الكوفة فى قبضة رجال ابن زياد وساقوه اليه فقال له ابن زياد . . ياهذا لك الخيار اما أن تقتل او تخبرنى بأسماء القوم الذى كنت ستلقاهم فى الكوفة

قال قيس بن محمد حامل الكتاب وان لم أفعل ..؟

قال ابن زياد وان لم تفعل فعليك ان تصعد المنبر فى المسجد أمام جموع المصلين ثم تسب الحسين وأباه واخاه .

قال قيس بن محمد لقد اخترت هذا .

واذ كان على المنبر حمد الله واثنى عليه وصلى على النبى وأكثر من الثناء على على والحسن والحسين وذهب يلعن ابن زياد وأباه وعتاة بنى أميه ثم صرخ فى الناس قائلا .. أيها النـــاس ان هذا الحسين بن على بن فاطمه بنت رسول الله ﷺ وقد جاء اليكم وانه هناك قريبا منكم ينتظر دعوتكم فانصروه .

فأمر به ابن زياد فحمل الى أعلا مكان فى الكوفة ثم ألقى به من حالق فتقطع ومات .

حزن الحسين

واذ علم الحسين بمقتله بكى بكاء شديدا وهو يكرر (فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا) .

وكان مع الحسين رضى الله عنه بعض الأعوان المخلصين الذين جاءوا معه ليشدوا أزره وينصروه فلما انكشف للحسين أمر أهل العراق وانصرافهم عنه أراد ان يجعل الذين جاءوا معه على بينة من الأمر وتلك خلة لا تكون الا لنبى أو ابن نبى فهو مقبل على أيام شدة وعنف عدته فيها الرجال ولكن نفسه الكبيرة تأبى أن يظل هؤلاء الرجال معه وهم يجهلون الأخطار الكبيرة التى سيتعرضون

لها واذ ذاك رأى أن يجعل لهم الخيرة من انفسهم فكتب كتابا طلب الى احدهم ان يقرأه على القوم الذين جاءوا معه واليك الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد . . . فانه قد أتانى خبر فظيع قتل مسلم بن عقيل وهانى ابن عروة وعبد الله بن بقطر وقد خذلنا قومنا فمن أحب منكم الانصراف فلينصرف فى غير حرج ليس عليه ذمام . . الى آخره .

واذ قرىء هذا الكتاب على الناس وترك لهم أمر البقاء أو الانصراف لم يأت المساء حتى انصرف أكثر الذين معه يعودون من حيث أتوا ولم يبق معه الا عدد يسير . استمر بهم الحسين فى طريقه الى الكوفة .

وكان رضى الله عنه يحب الشعر والنفس النبيلة فى هذه الساعات العصيبة تتكشف لها مشارف من سمو الأحاسيس فجعل يقول

فان تكن الدنيا تعد نفيسة

فان ثواب الله أعلى وأنبل

وان تكن الابدان للموت انشئت

فقتل امرىء بالسيف فى الله أفضل

وان تكن الارزاق قسما مقدرا

فقلة حرص المرء فى السعى أجمل

وان تكن الأموال للترك جمعها

فما بال متروك به المرء يبخل

جيوش الشر تتحرك

وكان خبر وصول الحسين الى كربلاء قد وصل الى عبد الله ابن زياد فأمر بمراقبة المنافذ وأرسل جيشا فى اربعة الاف رجل مدججين بالسلاح بقيادة عمر بن سعد وجعل مهمة هذا الجيش أن يأتى بالحسين حيا أو ميتا .

وكان عدد رجال الحسين فى أغلب الاقوال سبعون منهم ثلاثون فارسا فجمعهم رضى الله عنه وخطبهم فقال

انه قد نزل بنا من الأمر ما قد ترون وان الدنيا تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها ولم يبق منها الا صبابة كصبابة الاناء ، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل ، ألا ترون ان الحق لا يعمل به وان الباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن فى لقاء ربه محقا فانى لا أرى الموت الا سعادة والحياة مع الظالمين الا برما .

وران الوجوم على القوم واخذهم هم عميق لما ذكرهم به الحسين من ذهاب الحق واستعلاء الباطل وأجابه عن الرجال زهير بن القين فقال .. قد سمعنا هداك الله يا ابن رسول الله مقالتك ولو كانت

الدنيا لنا باقية وكنا فيها مخلدين لآثرنا النهوض معك على الاقامة فيها .

وجاء من يخبر الحسين أن الأربعة آلاف الذين يقودهم عمر بن سعد قد ألحقوا باربعة آلاف أخرى وان أربعة الاف غير هؤلاء وهؤلاء فى الطريق ذلك ان ابن زياد قد جن جنونه فأيما رجل وقع عليه بصره جنده وأرسله ليأتيه برأس الحسين وان تلبث الصحراء غير قليل حتى تملأ عليهم رجالا كل منهم يطلب رأس الحسين وكل منهم يدعى الاسلام ويؤمن برسول الله .

فلم ينقض النهـــار حتى كان عدد رجال ابن زياد ثلاثون الفا أمامهم سبعون مع الحسين .. ونظر حبيب بن مظاهر أحد رجال الحسين الى هذه الفئة القليلة التى ستلقى جيشـــا عرما كبيرا يقوده الحقد والضغينة فقال للحسين يا ابن رسول الله ههنا حى من بنى أسد بالقرب منى فأذن لى أن أدعوهم الى نصرتك فعسى الله أن يدفع بهم عنك فأذن له الحسين فخرج اليهم فى جوف الليل وجعل يصيح ياقوم .. قد أتيتكم بخبر ما أتى به انسان .. لقد جئت أدعوكم الى نصر ابن بنت نبيكم فانه فى عصابة من المؤمنين ، الرجل منهم خير من الف رجل لن يخذلوه وان يســـلموا أبدا فاطيعونى فى نصرته تنالوا بها شرف الدنيا والآخرة فهب منهم رجل وهتف

قد علم القوم اذا تواكلوا وأحجم الفرسان أو تثاقلوا
انى شجاع بطل مقاتل كأننى ليث عرين باسل

ففعل هذا الكلام فعله فى نفوس أهل الحى فهبوا جميعا لنصرة الحسين وعددهم تسعون مؤمنا كل منهم يعلم انه ميت لا محالة أمام هذه الجيوش الجرارة .

* * *

ولكن من عجب أن هذه الجيوش الكبيرة ما من انسان فيها إلا وهو يخشى الهجوم على الحسين مع قلة رجاله وكان ابن زياد يعلم عنهم ذلك ولذلك أمرهم أن يحاربوا الحسين بمنعه من الماء حتى يموت هو وأهله ظمأ بغير قتال فنادى عبد الله بن حصين الازدى من شيعة ابن زياد يقول بأعلى صوته . . . يا حسين ستنظرون إلى الماء ولا تمسونه كأنه فى كبد السماء والله لا تذوقون منـــه قطرة حتى تموتوا عطشا فقال الحسين عليه الرضوان .. اللهم اقتله عطشا . ولقد جاء فى الأخبار ان هذا الرجل وهو مريض بعد ذلك ببضع سنين كان جوفه يلتهب من العطش فاذا جاءوه بالماء شربه وتقايأه وظل يصيح العطش .. العطش . .

ولما اشتد العطش بالحسين واهله ورجاله أدرك ان الآزفة قد أزفت فجعل رضى الله عنه ينصح لهم أن يتفرقوا عنه وان ينجوا

بأنفسهم وان يدعوه وحده يلقى مصيره وقال لهم .. وهو يخطب القوم .. أما بعد .. فانى لا أعلم أصحابا أوفى ولا خيرا من أصحابى ولا اهل بيت أبر ولا أوصل من اهل بيتى فجزاكم الله عنى خيرا الا وانى قد أذنت لكم فانطلقوا جميعا فى حل ليس عليكم منى ذمام وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملا وليأخذ كل واحد منكم بيد رجل من اهل بيتى وتفرقوا فى سواد هذا الليل وذروني وهؤلاء القوم فانهم لا يريدون غيرى . . . فقالوا جميعا لا والله لا نفعل ولكنا نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلينا ونقاتل معك حتى نهلك

أنها الحرب

فقام الحسين واصحابه وأولوا الدور ظهورهم وامر بحطب كثير فوضعه فى خندق محفور واشعلت النار فى الحطب حتى لا يأتيهم القوم من خلف ظهورهم . وركب الحسين دابته وامر بمصحف فوضعه أمامه ورفع يديه الى السماء وقال . . اللهم انت ثقتى فى كل كرب وانت رجائى فى كل شدة وانت ولي فى كل امر كن كرب يضعف فيه الفؤاد وتقل فيه الحيلة ويخذل فيه الصديق شكوته اليك رغبة منى اليك فى فرجته وكشفته فانت ولى كل نعمة وصاحب كل حسنة ومنتهى كل رغبة .

وإذ ظهر الحسين دب الرعب فى قلب جيوش عمر بن سعد الجرارة فزحفوا وجاءوا من خلف الحسين فرذتهم النار المشتعلة فى الاحطاب وتقدم الحسين الى وجهتهم وهم أمامه كالسيل العرم من كثرة عددهم وراح بأعلى صوته يعظهم ويذكرهم بآيات الله . . .

فقال له شمر بن جوشن احد القادة .. ماهذا الذى تقول ..؟

فأجاب .. اقول اتقوا ربكم ولا تقتلونى فانه لا يحل لكم قتلى ولا انتهاك حرمتى فانى ابن بنت نبيكم ولعله قد بلغكم قوله ﷺ الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة . ماذا فعلت لكم ..؟ انكم لاتطلبونى بقتيل منكم قتلته ولا بمال استهلكته وانما انتم كتبتم لى تطلبونى فاغتررت بكم واسرعت اليكم .. فاتقوا الله

وإذ ذالك نظر القوم والجبن والرعب والرهبة تأخذ بقلوبهم وهم كثير منهم ان يتراجع لولا ان شد عليهم قادتهم وطلب كبير الجيش الى الجر بن يزيد وهو اشجعهم فى القتال ان يحتال لضرب الحسين ضربة قاضية فراح هذا يدور ويحول وله فى الحروب جولات وجعل يدنو من الحسين قليلا قليلا فاذا برعدة فجائية تنتابه فهو من فوق جواده يرتجف رجفا شديدا يأخذه من جميع اقطاره فقال له احدهم ماذا بك يا ابن يزيد ان أمرك غريب والله مارأيت منك فى موقف قط مثل هذا ولو قيل لى من اشجع اهل الكوفة لذكرتك .

فقال الرجل اذكر الدنيا وما سألته فيها حين اقتـــل حسين ، فاتقدم واذكر النار التي سأخلد فيها اذا قتل ابن النبي فاحجم . ولم يلبث هـذا الرجل ان انخرط فى بكاء شديد ثم اسرع نحو الحسين فوقع على قدميه يقبلهما بالدمع تائبا نادما .

فدعا له الحسين بخير .. ثم عاد الحسين ينـادى وهو يرى من خلفه النساء والاطفال من آل بيته يستبد بهم العطش ويحوم حولهم الشر وتطلبهم السيوف وهم خير من حملت الارض شرفا ومجداً فجعل الحسين يقول .. يا قوم اما من مغيث يغيثنا لوجه الله . . . اما من ذاب يذب عن حرم رســـول الله . . وكان يزيد ابن زياد ابن مهاجر قد تقدم بأمر القائد ليضرب الحسين الضربة القاضية وكان من اشجع اهل العراق فكان يرفع سيفه وصـــوت الحسين يجلجل فى اذنيه ويملأ عليه الدنيا وتردد صدى هذه الاستغاثة الشريفة الجبال فأسرع هو الآخر الى الحسين وارتمى تحت قدميه ثم نهض رافعا سيفه وهو يقول

يارب ان للحسين ناصر ولابن سعد تارك وهاجر

وذهب يحارب الى جانب الحسين ويدفع عنه حتى قتل

علي بن الحسين

ورأى علي بن الحسين اباه في موقفه ذاك يذكر الناس بآيات الله وهم أمامه زائغي الأبصار ، كأنهم خشب مسندة فهجم عليهم يعمل فيهم سيفه ويدفع عن ابيه هو يقول

انا علي بن الحسين بن علي　　نحن اهل بيت الله اولى بالنبي
تالله ان يفلت مني ابن الدعي　　اضرب بالسيف احامي عن أبي

ضرب غلام هاشمي علوي

وكان اهل الكوفة يتحامونه وكل منهم يخشى ان ينساله فيقتل رجلا من آل بيت النبي فيخلد في النار فذهب على الصبي يعمل فيهم تقتيلا ثم يعود الى ابيه الحسين فيباركه وهو يلهث قائلا يا ابي قتلني العطش فهل الى شربة من ماء سبيل ، فيبكي الحسين ويقول واغوثاه يا بني من أين آتي لك بالماء ، قاتل قليلا فما اسرع ما تلقى جدك محمد ﷺ فيسقيك بكأسه الأوفى شربة لا تظمأ بعدها ابدا . . .

فجعل يرود بالسيف والعطش مستبد به حتى اعترضه شخص كوفي يدعى مرة بن منكذ العبدي فرماه بالسهم وصرعه فنادى وروحه تصعد الى الله يا ابتاه عليك السلام فهذا جدي يقرئك السلام ويقول لك عجل القدوم علينا .

وتناول الناس من قوم يزيد هذا الصبي من آل بيت النبي فقطعوه بسيوفهم تقطيعا .

بقية آل البيت

وقتل بعد ذلك من آل الحسين عبد الله بن مسلم وعبد الله أكبر ومحمد بن عبد الله بن جعفر وغيرهم وغيرهم ممن كانت الأرض تضطرب خجلا أن تبتلع دماءهم. واشتد الكرب وهجمت الجيوش على رجال الحسين حتى لم يبق الا الحسين رضي الله عنه والنساء .. وخرج من أخبية النساء طفل صغير من آل البيت جعل يسرع إلى الحسين وهو لا يدري عن الحرب شيئا ويظن الحسين يناغيه ويداعبه والطفل يسرع اليه مبتسما مستبشرا وعمره سنتان فحمل على الطفل هانئ بن ثبيت الحضرمي فضربه بالسيف وقتله وصارت أمه تنظر اليه كالمجنونه والحسين وحده في الصحراء كالأسد الجريح وأصوات منكرة ترتفع مطالبة برأسه وسيوف حوله تلمع وعيون تقدح بالشر وأخذوا يهجمون عليه وحده ويضيقون الحلقة عليه رويدا رويدا وهو يصيح . هل ذاب يذب عن حرم رسول الله هل من موحد يخاف الله فينا . هل من معين يرجو ما عند الله فلم يجبه أحد .

واذ ذاك اشار إلى السيده زينب رضى الله عنهـــا فاتته بولده الصغير ليقبله فانتهز فرصة انشغاله بطفله رجل يدعى حرملة بن كاهل فرمى الطفل بسهم ذبحه بين يدى أبيه فحمله الحسين وراح يقول يارب ان كنت قد حبست عنا النصر من السماء فاجعل ذلك لما هو خير منه وانتقم لنا وسار بالطفل حتى وضعه إلى جانب الصف الطويل من الجثث الطاهرة . من قتلى آل بيت النبي .

نهاية الحسين على الارض

واشتد العطش بالإمام الحسين وكان الماء قريبا منه فدنا منه ليشرب فرماه الحصن بن تميم بسهم فى فمه الشريف فجعل يتلقى الدم من فمه ويرمى به إلى السماء واذ رأى القوم تعبه وما أصبح عليه من أعياء تكاثروا عليه من كل جهة فهب واقفا واندفع بسيفه فانهارت أمامه صفوف وتراجعوا من هيبته ورهبته وكل منهم صاوده الخوف من هذه الجريمه العظمى أن يقتل أحب آل بيت النبي اليه فيخلد فى النار وذهب الحسين وهو يشعر بالنهاية يحـــارب حربا لم يعرف التاريخ مثلها وهو يرتجز .

القتل أولى من ركوب العار

والعار أولى من دخول النار

فاذا بالألوف يتركون سيوفهم وخيولهم فرارا بانفسهم ثم يدفعهم قادتهم فيعودون حيارى من جديد حول الحسين وهو وحده يلقى ثلاثين الفا من المسلمين .. وانه لعار . وأى عار . وكان العطش يشتد به والكرب يزداد عليه فسقط إعيـــاء بين القوم واذ ذاك أسرعت السيده زينب رضى الله عنها تنادى وهى ترى أشرف خلق الله ملقى بين كلاب من الأوغاد وراحت تصيح وا اخاه : واسيداه واحسيناه واذ ذاك ناله جبان من بعيد بحجر فأسال الدم على جبهته فقعد مكانه يمسح الدم وإذ بآخر يرميه بسهم مسموم ذى ثلاث شعب فوقع على قلبه وقال بسم الله ..وبالله .. وعلى ملة رسول الله

وإذ ذاك حمل آخر رمحه وسدده إلى قلب الحسين فكبا على وجهه الشريف وجعل يقوم ويكبو حتى جلس قاعداً وجعل يضع كفيه تحت الدماء التى تندفع من جراحه فاذا امتلأت الكف بالدماء رفعها إلى السماء وهو يقول هكذا القى الله مخضبا بدمى مغلوبا على حقى ثم خارت قواه وهو يردد اسم جده صلى الله عليه وسلم وجاء رجل من بعيد يجرى يدفعه القدر وتناديه جهنم ونظر الحسين إلى القادم فابتسم لانه عرف قاتله .. فهذا الرجـــل قد وصفه له رسول الله أنه شمر بن جوشن أسرع مجنونا مغمضا عينه فرفع سيفه وحز رأس الحسين يفصله على جسده وذهب يقول

أني آخذ رأسك وانى اعلم انك اليد المقدام وانك ابن رسول الله وخير الناس آبا وأما .

وإذ ذاك غربت الشمس مسرعه مهرولة تريد أن تفر من أرض الظلام وناحت طيور السماء فشاركت السماء آل البيت العويل والنواح وذهب الحسين إلى السماء وترك الأرض للاشرار أما بعد

فهذه هى الدنيا فاذكروها على حقيقتها حين تطاردكم الاهوال والرغبات واذكروا حين يلم بكم البلاء أو تنزل بكم نازلة أن أكثر الناس بلاء هم الأنبياء ثم الامثل فالامثل.

ايها الكرام .. عند الشدائد والأحوال .صبرا . ثم صبرا فلستم اكرم على الله من حسين .

محمد لبيب البوهى